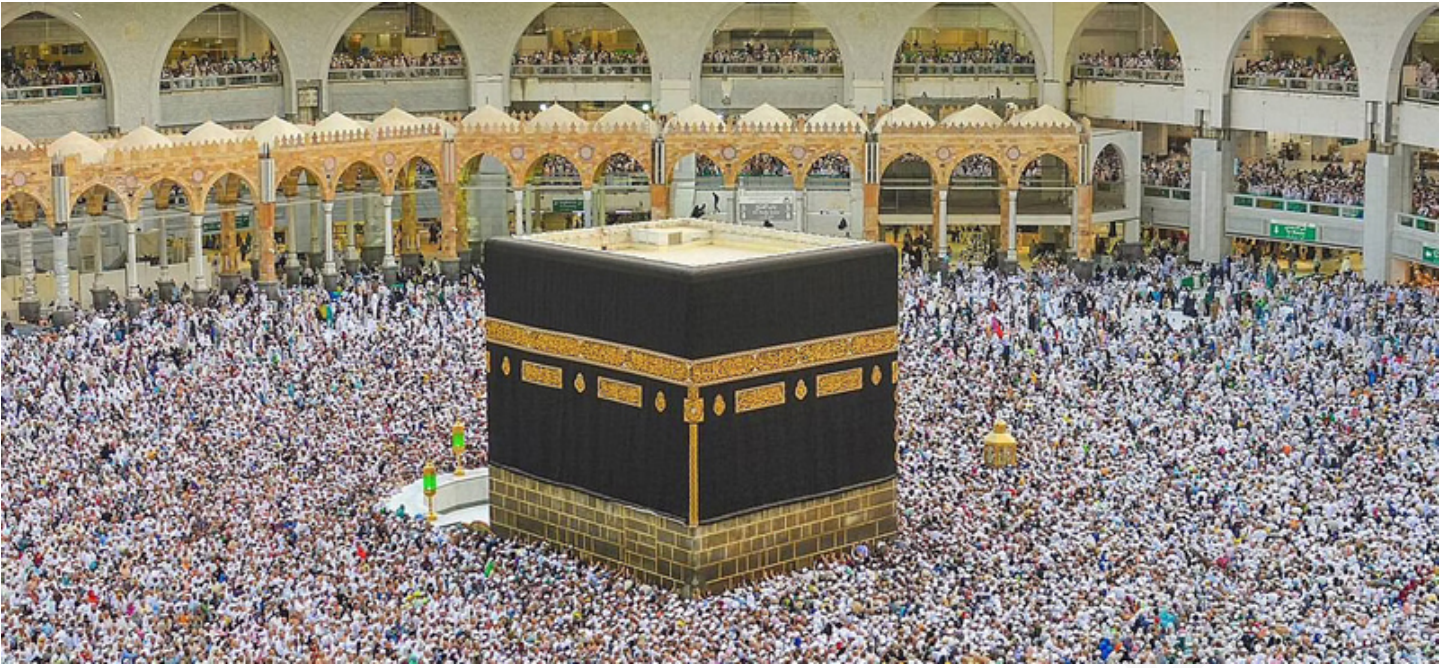




فوائد ومنافع الحج

خطب الجمعة

برنامج فكر وحضارة

2022-07-06

الأردن - عمان

إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية

مقدمة وترحيب:

الأستاذ حسين:

أرحب بضيقي على الهاتف الدكتور بلال نور الدين أستاذ الفقه الإسلامي، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته دكتور بلال.

الدكتور بلال:

حياكم الله أستاذ حسين، وحيّا الله جميع الإخوة الكرام المستمعين والمتابعين، بارك الله بكم وكل عام وأنتم الخير إن شاء الله.

الأستاذ حسين:

بارك الله بك، في آية الحج دكتور بلال يقول الله تعالى:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

(سورة الحج)

الأذان هنا، والناس هناك و(يَأْتُوكَ) فوراً سواء (رِجَالًا) أو (عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَتَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا مِنَّمْ لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةٍ لَّا تَعْمَ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ النَّاسِ لِقَائِهِ (سورة الحج)
(سورة الحج)

أولاً: لماذا الناس؟

ثانياً: كيف أتوك؟

ثالثاً: ما الذي يشهدونه؟ ما المنافع التي يشهد بها الناس في الحج؟ هل هي منافع دنيوية؟ هل هي منافع أخروية؟

الدكتور بلال:

بارك الله بكم، حياكم الله، أولاً: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ) الأذان: هو الإعلام في الأصل (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ) أعلمهم بهذه الفريضة العظيمة التي فرضها الله عليهم، وكلمة الناس في سورة الحج ظاهرة تسترعي الانتباه.

رسالة الإسلام للناس:

كنت دائماً أنظر إليها بعين التحصيل والتدقيق، لماذا كلمة الناس دائماً في سورة الحج (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ) لم يقل بالمسلمين ولا بالمؤمنين، كأن الله تعالى يريد أن يقول: إن هذه الشعيرة على أنها للمسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فِيهِ ءَايَاتٌ مِّنْ بَيِّنَاتٍ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِي
عَنِ الْغَالِبِينَ (97)

(سورة آل عمران)



رسالة الله تعالى للناس جميعاً

لم يقل على المسلمين، صحيح أنها للمسلمين لكنها شعيرة عامة تشمل الجميع، إنها مؤتمر سنوي عالمي يحضره كل الناس، ويجب أن تصل فيه رسالة الإسلام، ورسالة الحق والخير لجميع الناس، لذلك نلاحظ فعلاً في سورة الحج هذا النداء الرباني الرحيم (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ) وكأن الإعلام لجميع الناس، رسالة الإسلام ليست رسالة خاصة بطبقة دون أخرى، ولا يصنف دون آخر، إنها رسالة الله تعالى للناس جميعاً، واليوم نجد ذلك عندما تنقل جميع الفضائيات، وجميع وسائل الاتصال والتواصل هذه الفريضة العظيمة وتلك الشعائر الكريمة (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ) قال (تَأْتُونَكَ) كما أشرتكم جزاكم الله خيراً (تَأْتُونَكَ) وكأن النداء يلقي الإجابة فوراً، فليس هناك مدّة بين الإعلام بالفريضة، وبين أن يأتي الناس إليها، (تَأْتُونَكَ رَجَالًا) أي ماشين على أقدامهم و (عَلَىٰ كُلِّ صَامِرٍ) بوسائل النقل بدءاً بوسائل النقل البسيطة التي كانت في عصورهم، إلى الوسائل الحالية التي في عصورنا (مِنْ كُلِّ فَوْجٍ عَمِيٍّ).

المنافع جاءت عامة في القرآن ومطلقة:

أما ما تفصلتم به من سؤالكم عن المنافع (لَتَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) المنافع جاءت عامة في القرآن ومطلقة، ولا تريد أن نخصصها ونقيدها، لا شك أن أعظم المنافع في الحج هي منافع الروح منافع النفس منافع السكينة، منافع القرب من الله، فما أعظمها من منفعة أن يكون الإنسان بجوار خالقه وقريباً من ربه، لكن لا نترك أيضاً المنافع الأخرى، ما أعظم الحج عندما يكون فيه منافع للناس من جميع الأصناف، مؤتمر سنوي يجتمع فيه المسلم العربي مع المسلم غير العربي، المسلم من أطراف الدنيا كلها يجتمع الناس في هذا المنسك (لَتَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) يجب أن تكون المنافع عامة سواء كانت منافع اقتصادية، اجتماعية، منافع الأمة بحيث تتناقش في أمور الأمة، وتتجاوز في همومها، أن يصبح الحج مؤتمراً عالمياً يجتمع فيه المسلمون من كل أصقاع الأرض، وفود الرحمن من كل بلد وفد، فيجتمع الناس ويتناقشون ويتجاوزون، وإن كان هذا الأمر موجوداً الآن على الصعيد الفردي، بمعنى نعم الإخوة تلتقي، ويعود الحاج ويقول التقيت الحاج الإندونوسي والماليزي، وقد التقيت بحاج قد جاء مسلماً من أمريكا، والتقيت، والتقيت وبشعر بأخوة الإسلام، ولكن لو أننا في مستقبل الأيام ونرجو ذلك حولناها فعلاً إلى لقاءات تتجاوز فيها وتعاون في أرض الحرم، وفي مكان ووقت، المكان والوقت، فضيلة المكان، وفضيلة الوقت، لعل الله عز وجل أن يجعل هذه المنافع عظيمة في الحج فنجتمع ونتجاوز ونتناقش بما يفيد أمتنا وبحقق عزتنا وكرامتنا إن شاء الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَامَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (199) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ (200)

(سورة البقرة)

هذا الذكر في الحج من اليوم، يعني منذ أن تبدأ العشرة من ذي الحجة يبدأ الناس بالذكر، يبدأ الناس **ليبك اللهم ليبك**، ويعني هذا الذكر، ما دلالة ذلك في موسم الحج؟ لماذا تركز هذه الآيات على ذكر الله؟

الدكتور بلال:

أخي الأستاذ حسين بارك الله بك، لأن هذه العبادة الوحيدة في الإسلام التي جمعت عبادة مالية وبدنية معاً، بمعنى أننا في العبادات الأخرى نقف في بلدنا، في بيتنا، وفي أي مكان ونصلي لله، والله موجود جل جلاله في كل مكان وزمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)

(سورة الحديد)

القصد من الحج:



الذكر أوسع نشاط يفعل الإنسان

بعلمه وبقدرته، إلا أنه في الحج فقط أَرَادَنَا أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْهِ، أَرَادَنَا أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْهِ، تماشياً مع حاجتنا المادية فجعل له بيتاً، ودعانا إلى بيته جل جلاله، **فالحج هو القصد في اللغة**، فنحن نقصد إلى مُعْطَم، نسير إلى الله تعالى، فأنت عندما تذهب إلى الله لا شك أن أعظم ما يمكن أن تفعله هو أن تذكر من جئت إليه جل جلاله، تماماً كطالبي سافر إلى باريس مثلاً والله المثل الأعلى، لماذا سافر إلى هناك؟ من أجل أن ينال شهادة جامعية عليا، ويعود إلى بلده، فهو ماذا يفعل هناك؟ يدرس، ليس له إلا الدراسة، فأنت ذهبت إلى الله، الرحلة إلى الله هنا رحلة قبل الأخيرة، فلما ترحل إلى الله تعالى لا ينبغي أن يُقضى الوقت إلا في ذكره جل جلاله ونحن في بلادنا نتناغم مع هذا الموقف، فجعل الله لنا هذا الموسم موسم عشر ذي الحجة لتكون مع حجاج بيت الله الحرام في الذكر، والذكر أوسع نشاط يفعل الإنسان، وأوسع عبادة، ذكر الله بقرأة القرآن، ذكر الله باللسان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ذكر الله بالتفكير في خلق السماوات والأرض، أي شيء يذكرك بالله فهو ذكر فليس الذكر محصوراً بذكر اللسان وإنما كل شيء يذكرك بالله ولو نظرت إلى شجرة فقلت ما أعظم الخالق سبحانه جل جلاله! فقد ذكرت الله، فذكره جل جلاله أن تتذكر دائماً خالقك، فأنت في رحلة الحج ذهبت إليه، فليس لك إلا أن تذكره، أعظم ذكرين يترددان على لسان الملايين في العالم الإسلامي في هذه الأيام المباركة: ليبك اللهم ليبك، نداء الاستجابة، استجبنا لأمرك تركنا الأوطان، وتركنا الأهل والخلان وتركنا الأموال من أجلك، ليبك لا شريك لك، والذكر الثاني نرده نحن في هذه الأيام ونزيده في أيام العيد: الله أكبر فهو جل جلاله أكبر من كل شيء أكبر من أنفسنا، ومن شهواتنا، ومن أموالنا، ومن أولادنا ومن كل ما نملك، فلا تطيع مخلوقاً ونعصي خالقاً، فهو جل جلاله أكبر من كل شيء.

الأستاذ حسين:

أحسن أحسن.

الدكتور بلال:

أحسن الله إليكم يا سيدي.

الأستاذ حسين:

نستقرئ المعاني في الحج من وراء الصور والأعيان، كما قلت كل مكان ومَشْعَر تذهب إليه تعطيك مزيداً من الصور، لكن وراء هذه الصور معانٍ ودلالات تستدعي منك دائماً أن تقول ما ذكرت: **لبيك اللهم لبيك والله أكبر**، ما هي هذه المعاني سواء عند منى، أو في المزدلفة أو في عرفة أو في المسعى والمطاف؟

الشعائر والمشاعر:

الدكتور بلال:



الله تعالى جعل لكل مشعر عبادة

هناك شعائر كما تفضلتم، وهناك مشاعر، وكل شعيرة لا بد أن يرافقها شعور، فلا بد للشعيرة من شعور، فالذي يقف في عرفة لا بد أن يعرف الله، وأن يشعر بالقرب من الله تعالى، وأن يشعر بأنه في هذا المكان أقرب ما يكون إلى خالقه، وأن الله تعالى يطلع على أهل الصعيد، وأنه يغفر لهم وللمن دعوا له، فيشعر بهذا الشعور فيمتلئ قلبه حباً بخالقه، والذي يبيت بمزدلفة فإنه يتزلف لخالقه، ويتقرب من خالقه، بعبادة من نوع خاص، فالله تعالى جعل لكل مشعر عبادة، والذي يمسك الحصى ويرجم كأنه يعاهد الله تعالى على أنه لن يستجيب بعد ذلك لوسواس شياطين الإنس والجن، فهو يرمي وينتهي الأمر، والذي يقبل الحجر الأسود أو يشير إليه من بعيد فإنه يعاهد الله تعالى على الطاعة، والذي يطوف بالبيت إنما يطوف برب البيت جل جلاله وهكذا، فكل مشعر من المشاعر شعور خاص، والسعي بين الصفا والمروة هو سعي المشتاق، نتذكر السيدة هاجر، ونتذكر قصتها، ونسعى سعي المشتاق بين الصفا والمروة، فليس في الإسلام شعائر منفصلة، أو كما تسمى في بعض الأعراف طقوس، ليس في الإسلام طقوس.

الأستاذ حسين:

ليس في الإسلام طقوس؟

الدكتور بلال:

ليس هناك طقوس، هذه شعائر سماها الله تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
ذٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ سَعْيَرٌ لِّلّٰهِ فَاِنَّهَا مِنْ تَقْوٰى لِّلْقُلُوْبِ (32)

(سورة الحج)

الأستاذ حسين:

(فَاِنَّهَا مِنْ تَقْوٰى لِّلْقُلُوْبِ) الترابط هنا بين المشاعر والتقوى؟

الترابط بين المشاعر والتقوى:

الدكتور بلال:

نعم، ماذا قال تعالى:

(سورة المائدة)

(سورة الأعلى)



(سورة العنكبوت)

(سورة التوبة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)

(سورة البقرة)

فكل شعيرة في الإسلام لها مقصد **والحج: (ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ)** فلما يقف الإنسان في بيت الله الجرام وحوله كل إنسان يدعو الله بلغته سيسمع اللغات كلها في حرم الله تعالى، سيقن أن الله تعالى يعلم، ويستشعر هذا المعنى (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ومن علم أن الله تعالى يعلم فإنه لا شك سيأتي ما أمر الله به، وينتهي عما نهى الله عنه، لا يمكن لإنسان أن يخالف ويقطع إشارة المرور إذا علم أن إدارة المرور تعلم أن الكاهن مثبته، وأنه سيسجن إن قطع الإشارة فعبير الشارع، لأنه يعلم أن الإدارة تعلم، وما دمت تعلم أن الله عز وجل يعلم فإنك تنضبط بمنهجه، لذلك جاءت الآية: (ذَلِكَ وَمَن يُعْطَمْ شَعِيرٌ لِلَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) فربط بين تعظيم الشعيرة والتقوى وهي الخوف من الله، والعمل بأمر الله وباتنهائه عما نهى الله تعالى عنه ورجز.

الأستاذ حسين:

ولماذا يبدأ الحاج أول ما يبدأ بالإحرام؟

علة البدء بالإحرام:

الدكتور بلال:

الإحرام سيدي كأنه خروج من حالة إلى أخرى، وكأنه تخلٍّ، نحن عندنا مصطلح: تخلية وتخلية، تخلية: ننظف الكأس، وتخلية: نملؤه بالشراب الطيب البارد العذب، فلا بد من التخلية، الإحرام هو التخلية، كأنني قد دخلت في النسك تركت الدنيا ورائي، حتى لباسي الذي أتجمل به وأتأنق به تخليت عنه.

الأستاذ حسين:

يتجرد ويتحرر من كل شيء.

الدكتور بلال:

يتحرر من كل شيء، مع أن اللباس الحسن مطلوب خارج الحج، لكنه في الحج لا يُقبل لإنسان أن يلبس المخيط، لا يُقبل لإنسان أن يتطيب مع أن الطيب مطلوب في كل الأزمان فإنه لا يُرد، الطيب لا يُرد، ولكن في الحج ممنوع أن تتطيب، الإحرام هو التخلية، ثم تأتي التخلية بعد ذلك الطواف والسعي والقرب من الله عز وجل، ولكن أول ما في الحج هو أن تترك الدنيا وراءك وأن تستقبل الآخرة، وكأنك في رحلة تشبه من زوايا عدة الرحلة الأخيرة إلى الله، ولكنها قبل الأخيرة.

الأستاذ حسين:

في هذه الفترة وأنت مُحرم تُمنع من أشياء، بمعنى أنك مُلزم بعدم الاقتراب من أشياء معينة، أن تقص شعرك أو أن تتطيب أو كذا، هذه المدة التي هي مدة الإحرام أحياناً تطول وأحياناً تقل، ولكن كل حاج يلتزم بها في هذه الفترة الزمنية، ما الذي تعنيه؟ لماذا؟ ما الذي نستخلصه؟ ما دلالة ذلك في يوم أو يومين بعضها يمتد إلى أيام أنت تبقى في هذه الحالة مُحرمًا، منقطعًا متحرراً متجرداً من كل شيء.

الدكتور بلال:

اليوم سيدي هناك مصطلح يوني فورم في الجامعات وفي المدارس.

الأستاذ حسين:

اللباس الموحد.

الدكتور بلال:

اللباس الموحد في المدارس، في بعض الأعمال، من أهدافه في المدارس مثلاً ألا يتميز غني عن فقير، بمعنى أن يظهر الناس جميعاً على وجه واحد.

الأستاذ حسين:

متساوين.

السعادة في الحج:

الدكتور بلال:

وهنا في الحج يأتي الأمير ويأتي الخفير، ويأتي الوزير، ويأتي الإنسان العادي الفقير الذي ليس له منصب، وربما من الأميين لا يحسن القراءة والكتابة، فليس الجميع لباساً واحداً يشبه الكفن، ليس هناك أي ميزة لشخص على آخر، إنه مظهر من مظاهر وحدة المسلمين، الجميع يلبس الثياب البيضاء، غير المخيطة التي تلف جسده وتستتره فقط، اللباس فيه ستر، وفيه جمال قال تعالى:

(سورة الأعراف)

(سورة إبراهيم)



(سورة البقرة)

ما معنى مثابة؟ يثوبون إليه. يرجع الحاج فتقول له كيف الحج؟ يقول إن شاء الله يطعمنا العودة (كما يقول العوام) الرجعة يريد أن يرجع (مَنَابَةٌ لِلنَّاسِ) وماذا وجدت حتى ترجع؟ هل كنت في مدينة خضراء، وإطلالات وجو ساحر؟ لا، أبداً إذا ما الذي يجعلك ترجع؟ أنك ذقت طعم القرب من الله، فأراد الله أن يؤكد لك أن السعادة من عنده، وأنت إذا شعرت بالسعادة وأنت بهذا الحال، لا تلبس ثياباً جميلة أنيقة، ولا تشتم هواء صافياً والأزدهام شديد، وربما يصدر من بعض الحجاج بعض المواقف غير المنضبطة، فالناس ثقافات مختلفة ومع ذلك لا جدال ولا فسق ولا رفث في الحج:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَحَجُّ الشَّهْرِ مَعْلُومٌ مَن قَرَضَ فِيهِ لَحَجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي لَحَجٍّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَرَوُوهُ
فَإِنَّ خَيْرَ لِّلرَّادِ لِّلْقَوَىٰ وَتَقُونِ بِأُولَىٰ لِّلْأَيْمِ (197)

(سورة البقرة)

إذاً مع كل هذه المعطيات وأنت سعيد، لماذا أنت سعيد؟ لأن الله تجلى على قلبك، فتعلم أن الله تعالى هو أصل الجمال، والكمال، والنوال، فتعود من الحج وأنت أكثر تمسكاً بصلتك بالله، وقربك منه.

الأستاذ حسين:

أشكرك جزيلاً دكتور بلال، بارك الله بك، وكل علم وأنت بألف خير، تقبل الله منك ومنا صالح الأعمال.

الدكتور بلال:

بارك الله بكم وكل عام وأنتم بخير.

الأستاذ حسين:

الدكتور بلال نور الدين أستاذ الفقه الإسلامي شكراً جزيلاً لك.